

دور الكوفة في رسم معالم الهوية العراقية

علاء عبد الرزاق

تدريسي علوم سياسية- جامعة بغداد

المقدمة :

لم يكن اختيار العرب المسلمين للكوفة كأول مدينة مصرت في العراق بعد دخولهم اليه قد أتى عبثاً إذ توسطت المدينة الجديدة مثلثاً حضارياً كانت أحد اضلاعه بابل شمالاً والحيرة جنوباً في ظل بقعة شهدت سيلاً حضارياً وفكرياً عبر عصور خلت، وأضحت الكوفة بعد وقت قصير من تأسيسها صورة مصغرة للعراق حتى غدت تعرف به ويُعرف بها و وضعت بصماتها التاريخية والفكرية على المسار الحضاري في العراق منذ تأسيسها ومنذ ان اتخذها الامام امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عاصمة لخلافته وحتى الوقت الحاضر. ينطلق البحث من فرضية اساسية الا وهي إن للكوفة ومنذ تأسيسها بصمات فكرية ولغوية وثقافية وسياسية وعمرانية تركت تأثيرها على تشكل العراق في العصور الاسلامية وصولاً للعصور الحديثة، ومن أجل إثبات هذه الفرضية سوف يطرح البحث اشكالية تتعلق بالمدى الذي استلهمت فيه الانساق الثقافية والانظمة السياسية التي تعاقبت في العراق للأنموذج الكوفي، وكيف اثر هذا الانموذج على الهوية العراقية المعاصرة. وتستدعي الاشكالية الخاصة بالبحث الامام بمفهوم الهوية بشكل مختصر مع ذكر المشاهد التي استطاعت عن طريقها الكوفة بناء الهوية العراقية والتي ستكون مشاهد من بدايات التأسيس ومشهد من العصر الوسيط ومشهد من التأريخ الحديث، وصولاً للكيفية التي تمكنت عن طريقها هذه المشاهد من بلورة هوية عراقية متوازنة ومتجانسة. المبحث الاول: مفهوم الهوية يُعد لفظ الهوية في اللغة لفظاً صناعياً مركباً من ضمير المفرد المذكر "هو" والذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، والمعرف باداة التعريف "ال" ومن اللاحقة المتمثلة في ((ي)) المشددة وعلامة التأنيث ((ة)) والهوية هي حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية وذلك منسوب الى هو^١ والهوية في اللغة الانكليزية هي "Identity" ولها في المعاجم اللغوية الانكليزية أكثر من معنى إذ تعني

حقيقة بقاء الشيء كما هو عليه وفي ظل أي ظروف مختلفة، وتعني أيضاً كينونة الذات أو الشيء، وتميز هذه الذات عن غيرها، وتعني ايضاً الخاصية التي تجعل شخصاً ما معروفاً أو متعيناً أو حقيقة بقاء الشيء المعين ثابتة ومعروفة. كما تدل على التشابه التام في الطبيعة أو النوعية أو المماثلة التامة.^٢ وتعني الهوية ايضاً التماثل التام أو التشابه المطلق، كما ان كلمة "identify" تعني تعيين أو تأسيس الهوية عن طريق اثبات ان الشخص أو الشيء المعين هو ما هو عليه والهوية في اللغة اللاتينية "identi" تعني الشيء نفسه أو الشيء الذي هو ما هو عليه، أي الطابع العام أو الصفة المميزة لشيء أو شخص ما. والهوية في اللغة الفرنسية تعني "Identite" وهي تدل على مجموع المواصفات التي تجعل من شخص ما شخص معروف أو معين.^٣ والهوية عند القدماء تدل على عدة معانٍ لعل ابرزها التشخيص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي، قالوا ما به الشيء هو "هو" باعتبار تحققه يسمى ذاتاً وباعتبار تشخصه يسمى هوية وإذا أخذ أهم من هذا الاعتبار اضحى ماهية، وقالوا إن الامر المتعلق من حيث انه معقول في جواب ما هو "ماهية" ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الغير يسمى هوية، ومن حيث اللوازم يسمى ذاتاً.^٤ والهوية فلسفياً تطلق على العلاقة الفكرية التي ترفع كثرة المعاني في الموضوع فتردها إلى الوحدة في الإشارة مثلاً: أ في علاقة مع ب معناها انه على الرغم من الاختلاف في التعبير بين أ وب فان المقصود بهما شيء واحد. وفي المنطق والرياضيات تدل الهوية على علاقة بين شيئين أو كميتين كل طرف فيهما يقوم برأسه، ويستخدم للدلالة على هذه العلاقة بالعلامة (=) س=ص وتعني س في هوية مع ص. وتعني الهوية في الادراك الفلسفي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة الى الشجرة في الغيب المطلق لذلك قيل ان الاحق باسم الهوية " من كان وجود ذاته من نفسها، وهو المسمى واجب الوجود والمستلزم للتقدم والبقاء. وقال ابو نصر الفارابي: " بان هوية الشيء، تعينه وتشخصه، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، كل واحد، وقولنا انه "هو" اشارة الى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له والذي لا يقع فيه اشراك، ولقد عد الفارابي الهوية من جملة الموجودات وليست من جملة المقولات، فهي من العوارض اللازمة،

ولست من اللواحق التي تكون بعد الماهية، وهناك من يرى ان الهوية هي الوجود المحض الصريح المستوعب لكل كمال وجودي وشهودي.^٦ ولقد عنت الفلسفة اليونانية قديماً بالهوية وبمبدأ الهوية ووضع ارسطو للهوية ثلاث قوانين اساسية وعد بالإمكان رد قوانين الفكر الاساسية الى قانون واحد هو قانون الهوية فقانون عدم التناقض هو صورة سلبية لقانون الهوية، وقانون الثالث المرفوع صورة شرطية لقانون عدم التناقض، وقانون الذاتية صورة ايجابية للقوانين الثلاثة.^٧ ولقد تناول عدد من الفلاسفة مفهوم الهوية الشخصية، والتي تعني ماهية الانا والذات وبقاء هذا الانا وهذه الذات على حالها من سنة لأخرى دون تحور أو تبدل، ولقد دار نقاش مستفيض حول مصدر الهوية -الذات فهل هو العقل أو المادة. واذا ما قلنا ان المادة هي مصدر الهوية كان ذلك بعيداً عن الحقيقة، ذلك ان كل خلية في الجسم في تغير مستمر، كما ان الهوية -الذات لا يمكن ان تكون في العقل ايضاً، ذلك ان مجموع العواطف والمشاعر والافكار التي تشكل الضمير تتغير بشكل ثابت ومستمر، كما ان الانسان لا يمكن ان يكون متماثلاً مع ذاته بالشكل الذي كان عليه قبل سنة مضت.^٨

والهوية الشخصية تتحدد بناء على اسم الشخص وموقعه في المجتمع فضلاً عن الوجود المادي المستمر والذاكرة الثابتة وهذا الوجود المادي الموضوعي يبنى على قاعدة التماثل والاستمرار لوجود الانسان كفرد ومقدرته على تمييز وادراك المواقف العقلانية والاخلاقية والتي في حالة مرور الانسان بها يشعر بذاته وبشكل حاد وعميق الامر الذي يتكون لديه وفي اعماق ذاته صوت يناديه بالقول " هذا هو أنا حقيقة".^٩ وتدل الهوية عند المحدثين عادة على اربع معانٍ وهذه المعاني هي:

١- يطلق اسم الهوية على الشيء من جهة ما هو واحد، كقولنا ان الشيخ الرئيس هو ابو علي بن سينا، وتسمى هذه الهوية بالهوية الفردية

٢- يطلق لفظ الهوية على الشخص أو على الموجود المشبه بالشخص إذا ظل هذا الشخص ذاتاً واحدة رغم التغيرات التي تطرأ عليه في مختلف أوقات وجوده، ومنه قولنا هوية الانا، وهوية الفاعل، وتسمى هذه الهوية بالهوية الشخصية "Personal

"Identity"

٣- وتعد الهوية صفة لموضوعين من موضوعات الفكر على الرغم من اختلافهما في الزمان والمكان متشابهان في كفيات واحدة، وتسمى هذه الهوية بالهوية الكيفية أو النوعية "Qualitive Identity" أو الهوية النوعية "Specific Identity"

٤- الهوية علاقة منطقية بين شيئين متحدتين كالهوية الرياضية، والمساواة الجبرية والتي تظل صادقة رغم اختلاف قيم الحروف والتي تتقوم منها كما في العلاقة الجبرية التالية: $(ب+ج)=٢$ ب $٢+٢$ ج ٢ ب ج. '١ ولقد بحث جذور الهوية من لدن فلاسفة تجريبيين وعقلانيين مثل ديفيد هيوم وعمانوئيل كانت، وكان الاول قد استبعد اي تماثل مع الذات بشكل كامل، وقد فسر هذا الطرح بالقول بان جزءاً من العقل الواعي في لحظة ما يظل متماثلاً في اللحظة التالية كما يكون من السهل التوقع بان الذات الواحدة تخضع لعملية تغيير تدريجي بشكل اكبر من ذوات متعددة مع تشكيلات معقدة، ولقد اعتقد هيوم، بان النفس تمتلك مظهراً واحداً من الهوية الذاتية ويتكون هذا المظهر عن طريق تعاقب الصور والاحاسيس بشكل الي وهذا التعاقب هو الذي ينشأ الفكرة. وبالمقابل فان عمانوئيل كانت اعتقد بأن التماثل مع الذات يتم البحث عنه في مجال الضمير الفردي فهل إن تتابع الافكار والمشاعر والاحاسيس يحدث في الضمير بشكل متوالٍ او لا وقد بدا واضحاً ل ((كانت)) بان الشي في ذات نفسه(العقل المجرد) ذو علاقة بالعقل العملي وبحالات مختلفة. "كما يطلق اصطلاح فلسفة الهوية على كل فلسفة لا تفرق بين المادة والروح وبصورة اخص على مذهب شيلينغ القائل بوحدة الطبيعة والفكر، لقد جعل شيلينغ من الهوية المطلقة جوهر العقل وماهيته، وتبعاً لذلك رأى ان الفلسفة لا يمكنها التخلص من المشاكل العويصة التي تتردى فيها إلا بالرجوع إلى مبدأ الهوية، ذلك ان جوهر الاشياء الاعمق هو الواحد، والكل الواحد يقوم على المعرفة الذاتية على وجه ادق وخارجها لا يوجد شيء قابل لان يُعرف ولهذا ينتهي الى القول بان العقل والهوية المطلقة ليست فقط ماهيته بل هي صورته وقانونه، اي ان المطلق واحد، ماهية واحدة هي عينها، وهذا يعني انه امن بوحدة الذات والموضوع ووحدة الطبيعة والفكر ووحدة المثل الاعلى والواقع، ووحدة المادة والروح، ومبدأ الهوية لدى شيلينغ يقوم على ان الموجود هو ذاته، اي هو ما هو

عليه، كما ان الهوية ايضاً هي الشخص وهي الحقيقة الجزئية، وقد تطلق على الذات الالهية فهوية الحق هي عينه.^{١٢} ويصدق مبدأ الهوية على كل علاقة منطقية، كما انه المثل الاعلى للكم التحليلي، لان المحمول في هذا الحكم ليس جزءاً من مفهوم الموضوع وانما هو عين الموضوع نفسه، ومن مشتقات مبدأ الهوية مبدأ التناقض ومبدأ الثالث المرفوع، فأما مبدأ التناقض فيعني ان الشيء الواحد لا يكون موجوداً ومعدوماً في ذات الوقت. واما مبدأ الثالث المرفوع فهو القول بأن القضيتين المتناقضتين لا تصدقان معاً، ولا تكذبان معاً.^{١٣} كما تحدد الهوية كمفهوم اجتماعي على انها البعد المحلي أو الصبغة السائدة وهي طريقة الاداء المتوارث التي تحدد الخصوصية التي يتميز بها بلد ما وهو ما يمكن ان نوجزه في المنحى الخاص بطرح المشكلات والاستجابة لها وحلها مما يؤلف اخر الامر طابعاً مستمراً للفكر والسلوك والذي يميز شعباً ما عن شعب آخر، وبطبيعة الحال فان الصبغة الخاصة باي شعب قد صيغت بمقتضى مشروعات وانجازات متتابعة وذلك عن طريق البحث الدؤوب عن حلول للمشكلات وحلها، مما يؤلف آخر الامر طابعاً مستمراً للفكر والسلوك كقول مثلاً بالنزعة التجريبية والبراغماتية في الفكر الانكلوسكسوني، أو النزعة المثالية والبحث في الميتافيزيقيا لدى الفلاسفة الالمان وعلى الرغم من ان هذه النزعات لا تستنفذ كل مواقف الفكر والسلوك عند كل امة لان هنالك تنوعات متعددة، فالهوية تعني وحدة الانتماء، ولكن هذا لا يعني التجانس، بل الوحدة في المتنوع، وكل ما يؤدي الى التقارب والالتقاء عند نقاط مشتركة. ولقد صاغت هذه الشعوب هذه الصبغة أو تلك الهوية الخاصة بها بمقتضى مشروعات وانجازات متتابعة وذلك عن طريق البحث الدؤوب عن حلول المشكلات ومواجهة التحديات، واختيار مواقف ساد بعضها دون البعض الاخر وليس من خلال هوية مفطورة معطاة من امد بعيد ولد بها الانسان منذ البداية.^{١٤} والهوية ايضاً عبارة عن منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية، وتنطوي على نسق عال من عمليات التكامل المعرفي وتتميز بوحدها التي تتجسد في الروح الداخلية والتي تنطوي على إحساس بوحدة المشاعر الداخلية والتي تتمثل بوحدة العناصر المادية والتمايز والديمومة والجهد المركزي،

وهذا يعني ان الهوية هي واحدة من العنصر المادية والنفسية المتكاملة، والتي تجعل الشخص يتميز عن سواه ويشعر بوحدته الذاتية.^{١٥} وهنالك في واقع الامر ثلاثة مستويات للهوية فهنالك الهوية على المستوى الفردي، اي شعور الشخص بالانتماء الى جماعة او اطار إنساني اكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات و(الهوية) بهذا المعنى هي حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وبعملية التنشئة الاجتماعية، وهنالك التعبير السياسي الجمعي عن هذه الهوية في شكل تنظيمات واحزاب وهيئات شعبية ذات طابع تطوعي واختياري. وهنالك ثالثاً حالة تجسد وتبلور هذه الهوية في مؤسسات وبنى قانونية على يد الحكومات والانظمة. وتبرز الهوية بأشكال وصيغ عديدة تبعاً للأوضاع المؤثرة إبتداءً من تعبير الشخص الفرد عنها، وانتهاءً بالأشكال التنظيمية الارقى عن طريق نسق نظامي وعقلاني وقانوني، وأشكال التعبير عن هذه الهوية لا تفترض بالضرورة تكاملاً وتلاحقاً وتفاعلاً اذ نرى قدراً من التضاد فكلما زادت درجة المؤسسة للهوية اي خضوعها لمؤسسة معينة ضعفت اصالتها على الرغم من ان هدف المؤسسة يبدو في الظاهر في اطار تأصيل الهوية والتعبير الافضل عنها، لان كل مؤسسة للهوية تخدم واحداً من جوانب الهوية على حساب جانب اخر، والهوية على المستوى الجمعي قد تكون كامنة تنتظر الاطار التاريخي الذي يسمح لها بالتعبير عن ذاتها، وهنا يأتي دور النضال الفكري والسياسي لتحقيق هذا الاطار. وتعد الهوية بمثابة الرمز والعامل المشترك الذي يجمع عليه افراد الامة من حيث الانتساب والتعلق، والولاء، والاعتزاز، وهذا الانتساب والتعلق والولاء والاعتزاز يكتسب قداسته، لأنه لا يمكن ان يكون موضع شك من لدن اي طرف خاصة ممن يتكون منهم قاعدة الهرم وهي هوية القاسم المشترك بين الجميع استنادا الى الخلفية الثقافية والتاريخية الواحدة ومما يجعل هذا الاعتزاز بالهوية امراً مشروعاً ايضاً وحدة المصالح والمستقبل الواحد وبهذا المعنى الهوية هي الذات الجماعية لأفراد الامة كلهم والمساس بها يعني المساس بكيان الامة ويمس نفسية كل فرد منها لأنه شك في الماضي وطعن في الحاضر، ويأس من المستقبل. ولعل العامل الاساس في تحديد هوية امة من الامم او بلد من البلدان هو : الخلفية الثقافية

والتاريخية والصراعات الراهنة والتحديات التي تفرض عليه، والتجارب المختلفة والاضاع التي يمر بها البلد وهي التي تصقل وتصهر هوية الافراد وبالتالي يشترك كل الافراد في صنع تلك الهوية الجماعية ويتعودون عليها بمرور الزمن فتصبح في نظرهم اصيلة كلما تقادمت وكأنها جزء من النظام الطبيعي نفسه بالرغم من ثبوت الطبيعة وتغير المعطيات الثقافية، ان الهوية في واقع الامر واقع دائم يبحث عن صيغة افضل لحياة اي بلد في الحاضر والمستقبل مما يجعل الهوية دائمة الحضور في الوجود التاريخي لأي بلد دون انقطاع وان تلون شكل هذا الحضور بميزة معينة في كل عصر من تاريخها.^{١٦} والهويات سواء كانت فردية او جماعية تستهلك طاقتها في عملية التواصل مع محور من القيم وهذه القيم هي التي تحدد الغاية من وجودها. فالعقيدة الايدلوجية او الدينية تسلط الضوء على معنى الحياة فالمناضل يشعر بالنشوة عندما يعمل على وضع مبادئ عقيدته موضع التطبيق، وتعطي العقيدة الدينية للإنسان القدرة على تحقيق الرغبات والقيم التي تعمل على توجيه حياته وجعله يشعر بأحاسيس من الرضا والسعادة. وتتكون هوية الجماعة عبر عملية تمثل مستمر لتأريخها وبالتالي فان عملية التحول الثقافي واستحضار الماضي الجمعي وتجارب النجاح والفشل للجماعة، وسلوك ابطالها النموذجي عوامل تسهم في بناء الهوية الثقافية للجماعة.

المبحث الثاني: الكوفة وتمثيل الهوية التاريخية لا يمكن القول ان نشوء مدينة الكوفة قد ارتبط بدخول العرب المسلمين إلى العراق وان كانت التسمية ككوفة او كوفان قد ارتبطت بهذه المرحلة ذلك إن تاريخ هذه المنطقة يعود لعصور قديمة فقد شيدت عليها أديرة وقلاع وبيع ويذكر بعض المؤرخين إن الملك البابلي نبوخذ نصر ٦٢٦-٥٣٩ قبل الميلاد قد بنى حيراً على النجف وحصنه ثم ضم القبائل العربية اليه وكانت الحيرة مقراً وعاصمة للملوك المناذرة من لحم ولقد اتخذ بعض شعراء الحيرة من العباديين وهم مسيحيي الحيرة من المنطقة التي اوضحت تعرف بالكوفة متنزها لهم ومسكناً ومعتكفاً حتى غدت المنطقة تعرف باسم خد العذراء لطيب هوائها ونقاؤه ولقد سكن السريان في اطرافها وانشأ الرهبان اليعاقبة من انصار مذهب الطبيعة الواحدة مركزاً دينياً حتى غدت تلك المنطقة بمثابة المركز الثقافي للعراق قبل الاسلام ولقد اطلق على

المراكز الحضارية اسما مثل الطور والجودي والغري وبانيقا ومن ورثت الكوفة هذا الميراث الحضاري حينما ظهرت كمدينة اختطها العرب المسلمون بعد دخولهم للعراق. لقد نزل العرب المسلمون في منطقة الوسط من العراق بعد فتحهم لارض السواد وكان تأسيس الكوفة أو كوفان من الضرورات التي اقتضتها ظروف الحرب والفتوحات إذ كان لازماً ان يكون هنالك نقطة رابطة بين عاصمة الخلافة في المدينة المنورة وبلاد المشرق وان يكون للعرب دار هجرة وان يكون ذلك ببقعة لا يكون فيها بين المدينة وبينها بحر فكانت الكوفة والتي تعني لغة الموضع المستدير من الرمل والارض التي تضم الحصباء مع الطين، والتكوف يعني الاجتماع، والكوفان يعني الاستدارة، والرملة المستديرة وتعني ايضا اختلاط الناس واضطرابهم في الشدائد ويقال الناس في كوفان من امرهم والكوفان ايضا هو الدغل من القصب. ١٧ وهنا برز التأثير العربي الواضح على اسم وطريقة تأسيس المدينة التي حملت الميراث العراقي القديم واستوعبته حتى تقدمه بحلة جديدة عربية واسلامية. لقد قسمت الكوفة إلى خطط وسكنت في كل خطة قبيلة عربية ولقد غلبت قبائل اليمن على سكان الكوفة ولاسيما همدان وطى ومن المعروف ان قبائل اليمن تعز بعروبيتها والارث الحضاري الذي تمتلكه وعملت على مزجه بالميراث العراقي القديم الذي ورثته الكوفة بحكم مجاورتها لبابل والحيرة، وسوف نرى كيف ان هذا الطابع اثر بشكل كبير على النتاج الفكري والثقافي والذي ابدعته الكوفة ومن ثم كيف اثر على اتخاذ موقف سياسي يتعد في احيان كثيرة عن السلطة السياسية. ١٨ ولما كان الواقع السياسي واحدا من المدخلات الخاصة بالهوية فسوف نلاحظ ان مثل هذا الواقع السياسي لعب دورا كبيرا في صياغة هوية كوفية وعراقية متميزة سيما بعد ان قام الامام امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه باتخاذ الكوفة عاصمة له لأسباب عديدة تتعلق بطبيعة المرحلة التي تولى فيها الخلافة ومنها اضطراب الامور في البصرة وخروج الناكثين على الخلافة الشرعية وقتالهم وعمل وفد الكوفة بالمبادرة لمبايعته وكان بزعامه الصحابي الجليل مالك بن الحارث النخعي، كما كان لضعف العامل الاقتصادي في المدينة المنورة على العكس من الكوفة والتي فيها ما يؤهلها لدعم المعركة واسناد الجيش بشكل جيد اذ

من المعروف ان الكوفة تكونت أساساً من العناصر المقاتلة التي وفدت للعراق كما كان لضعف العنصر السكاني في المدينة المنورة والذي لا يمكنها من مواجهة العساكر الاموية في الشام في الوقت الذي كانت فيه الكوفة قادرة على تلبية هذه المتطلبات كما ادرك الامام امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إن في المدينة المنورة من هو بعيد فكراً وسلوكاً عن الخط المحمدي الاصيل ومن يسعى في الوقت ذاته للخلافة ويعد نفسه موازياً بدون حق للإمام امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، كما غلب على أهل الحرمين في تلك المرحلة الميل للدعة والراحة على العكس من أهل الكوفة والذين كانوا طليعة المقاتلة للجيش على محور المشرق، كما تمتعت الكوفة بميزة وهي انها كانت بمثابة القلب من العالم الاسلامي بحكم توسطها بين الحجاز والشام ومصر وبلاد فارس. ومن المزايا الخاصة بالكوفة انفتاحها على الجزيرة العربية والموجات السكانية التي وفدت منها اذا ما تمت مقارنتها بالبصرة والتي كانت مفتحة على الهجرات البحرية القادمة من الشرق ولعل انفتاح الكوفة على بادية الصحراء كان سبباً من اسباب صفاء ونقاء لغتها العربية. لقد كانت الدوافع العلوية لاختيار الكوفة عاصمة للخلافة دوافع تماثل الدوافع التي رافقت هجرة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم للمدينة المنورة وتركه لمكة المكرمة ذلك إن مكة لم تتسع للرسالة الاسلامية بطابعها البدوي فكانت الهجرة للمدينة والتي تقبلت الدعوة الاسلامية بحكم خلفيتها الحضارية المتمدينة ووجود اتباع اديان توحيدية فيها، ولما كان الوضع الذي اضحت عليه المدينة المنورة قد تراوح بين استقرار الصحابة فيها على عهد عمر بن الخطاب ومن ثم تحولهم عنها على عهد عثمان بن عفان وما جرى ذلك التحول من مشاكل للدولة الاسلامية فقد رأى الامام امير المؤمنين أن يحفظ للمدينة المنورة حرمتها وقدسيته مخيراً الصحابة بين التحول والبقاء طبقاً لتسامحه وسعة نظره، كما أدرك الطبيعة الحضارية الموجودة في ارض العراق والتي كانت اوسع افقاً من الرؤية الفكرية الموجودة في المدينة ولهذا كانت التخريجات الفقهية التي خرجت بها مدرسة الكوفة اوسع واثرى من المخرجات الفقهية للمدينة المنورة، ولم تكن الخلفية الحضارية للكوفة اوسع فحسب بل وجد الامام امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في الكوفة وحدة

ادارية متميزة وعددا ضخما من المقاتلة (٩٠) الف مقاتل، وشرائح سكانية متنوعة من العرب وغير العرب وهو ما ولد هوية متنوعة ذات محتوى فكري ثر كانت هي الميزة فيما بعد للهوية العراقية المتنوعة والتي لم تكن قاصرة على لون او عرق أو مذهب معين. لقد تركت المرحلة العلوية بصمات واضحة في مسيرة الكوفة وفي تميزها عن سائر الامصار وفي جعل المزايا الخاصة بها قرينة بالعراق وبالعراقيين ككل، ولقد تبعها الموقف من الثورة الحسينية والتي وإن لم يقف فيها كل أهل الكوفة موقفاً مؤيداً ومناصراً للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلا ان لصناديد الكوفة وفرسانها كان موقف مشرف في الاستماتة والدفاع عن آل بيت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والاستبسال في حومة الوغى، إذ ضمت قائمة الاصحاب الوجوه والمراكز الاجتماعية في الكوفة كحبيب بن مظاهر الاسدي المحدث، ومسلم بن عوسجة الاسدي الفقيه، وبرير بن خضير شيخ القراء في مسجد الكوفة، وانس بن الحارث الكاهلي البدري وشوذب صاحب الحديث، ونافع بن هلال الحافظ، وهانئ بن عروة شيخ مذحج. ٢٠ وتواصل الموقف المعارض للأمويين بعد ثورة الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وذلك باندلاع ثورة التوابين ومن ثورة المختار بن ابي عبيد الثقفي وثورة الامام زيد بن الامام علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليهم، ومثل هذه الثورات والانتفاضات المستمرة والتي أقضت مضاجع حكام بني امية ودفعتهم لاختيار ولاية قساة جفاة ظالمين للعراق كانت بمثابة ترسيخ لطابع المعارضة التي اتخذته الكوفة والذي وسم العراق كله بهذه السمة، ونرى ان واليا ظالماً كالحجاج بن يوسف الثقفي حين خطب في أهل الكوفة مندداً بولائهم لآل بيت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قائلاً: "يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم منكم والعصب والاعضاء والاطراف" وتابع الحجاج وصية عبد الملك بن مروان في كيفية التعامل مع أهل الكوفة بالقول: "أن جمر أهل العراق (وقصده الكوفة) وتابع عليهم البعوث واستعن عليهم بالفقر فانه جند الله الاكبر". وتابع الحجاج وصف أهل الكوفة وماهى بينهم وبين أهل العراق قائلاً: "أهل العراق أهل الشقاق والنفاق وهم والله عش النفاق وببيضته التي انفلقت منه والله ما سبرت عراقياً قط فوجدت عنده

ديناً^{٢١}. ولم يكن العباسيين في تعاملهم مع الكوفة واهلها بأقل قسوة من الامويين رغم اتخاذهم الكوفة عاصمة اولى لهم وفي مسجدتها الجامع القيت أول خطبة تم فيها الاعلان عن تأسيس الدولة العباسية وتم على اثرها مبايعة اول خليفة عباسي، رغم ذلك كانوا على العكس أكثر تشدداً في قمع اهل الكوفة وفي ذات الوقت أكثر ميلاً للمزاوجة بين الكوفة والعراق كمدرسة للفقه والرأي والحديث ويعود السبب لانتشار مذهب التشيع في الكوفة حتى عد الامام ابي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه بإمام اهل العراق ونبي الكوفة، تلك الفسحة من الوقت والتي اتاحت للائمة صلوات الله وسلامه عليهم نشر علومهم ونعني بها المرحلة التي شهدت ضعفاً وتدهوراً في هيمنة السلطة الاموية، كما استوطن الإمام ابي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه الكوفة في مطلع حكم بني العباس وكان له تلامذة ومحدثون في مسجد الكوفة وقد قال الحسن بن علي بن زياد الوشاء لابن عيسى القمي: "ادركت في هذا المسجد أي مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد^{٢٢}. ولما أبدت السلطة العباسية حقيقة مشروعها السياسي والذي لم يكن ليختلف كثيراً عن المشروع السلطوي الاموي فقد سعى المنصور للابتعاد عن المدرسة العراقية التي كانت الكوفة ملمحها الاساسي واستعان بمدرسة المدينة إذ بعث في طلب مالك بن انس والذي قال للمنصور: "ولأهل العراق قولاً تعدوا فيه طورهم فرد عليه المنصور بالقول: "اما أهل العراق فلست أقبل منهم صرفاً ولا عدلاً وإنما العلم علم أهل المدينة فضع للناس العلم"^{٢٣}. ولقد كان لتأسيس الكوفة ولطبيعة سكانها دور كبير في اتخاذ هذه الصورة النمطية المتميزة بطابع الجدل والنقاش وتمحيص الآراء وتقليبها وهو ما بقي لحقبة طويلة حتى شهد بذلك ابن خلدون في مقدمته لأهل العراق بهذه الصفة وهي اساساً صفة أهل الكوفة، إذ لم يكن مثل هذا الطابع سائداً في مدن عراقية اخرى لم تكن الحركة الفكرية والنشاط العقلي فاعلاً ومؤثراً في حياة ابنائها كما كانت الكوفة^{٢٤}. مع وقوع العراق بيد الحكم الاجنبي والذي تنوعت اشكاله ومكوناته بدأت الكوفة تفقد مكانتها إذ ادركت قوى الاحتلال الاجنبي بمختلف مسمياتها ما للكوفة من مكانة وتأثير على الشخصية العراقية فتحولت من مدينة عامرة زاهرة بالحياة الاقتصادية

والعمرانية والفكرية إلى قرية منسية في العهود التي سبقت بقليل وتلت سقوط الدولة العباسية لقد اصبح معروفا بأن الخراب قد حل بمدينة الكوفة القديمة منذ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي، فاندثرت مبانيها، وهجرها اهلها ولم يبق منها الا مسجدها الشهير الذي يقاوم عوادي الزمن وحده، بينما فقدت المدينة التي كانت اول عاصمة اسلامية في العراق مكائنها، ويبقى مسجدها مجرد محطة لاستراحة المسافرين الذين يقصدون النجف لشأن من الشؤون.

ولقد مهدت عوامل كثيرة لنشوء الكوفة الحديثة، فعملية تحويل مجرى نهر الفرات الى الهندية، وايصال الماء الى الكوفة، قد صاحب عملية استقرار بعض القبائل العربية على جانبي النهر، كآل فتلة ، وبني حسن والحميدات وال شبل وال زياد وغيرهم. وعملت هذه القبائل بمرور الزمن على استغلال مياه النهر والافادة منه لزراعة الاشجار والبساتين والمزارع الكثيرة.

صاحب عملية الاستقرار على جانبي النهر، بناء بعض بيوت القصب، ويحدد البراقي ذلك بعام ١٨٧٣ حيث يقول: فنزلها (اي الكوفة) بعض الزائرين بالقرب من مقام النبي يونس عليه السلام، فكثر سكانها فأحدثوا بساتين على جانبي الفرات، بنوا فيها حماماً وبركة للماء، فأخذت البلدة بالعمران شيئاً فشيئاً.^{٢٥}

ولعل من العوامل المهمة في تطور عمران بلدة الكوفة الحديثة، ما اعقب جفاف بحر النجف وشحة المياه في مدينة النجف عام ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧م ، حيث اقدم الناس - كما يؤكد - البراقي - على بناء الدور والاسواق والحمامات في الكوفة.

ان نشوء بلدة الكوفة الحديثة، واتساعها على ضفة النهر وحول المسجد ، قد اثار انتباه الرحالة الأوربيين وان اختلفوا في وصفها. فالرحالة الامريكي بيترز Peters، الذي زار الكوفة عام ١٨٩٠، ولم يحسبها سوى قرية صغيرة حيث قال: "ولا يرى (في الكوفة) الا بقايا اسس بناء مازالت مبثوثة قرب المسجد، او انها مبعثرة ما بين اشجار النخيل والاكواخ، وهي دلائل لقرية حديثة بائسة، وحتى هذه البقايا سرعان ما اختفت لأنها اصبحت المادة الرئيسية في البناء لأهل النجف. واعطى سير وليس بدج صورة" للكوفة، الا ان هذه الصورة لم تكن مشرقة في نظره حيث يقول عام ١٨٩٠ -

١٨٩١: "كانت حالة البلدة (الكوفة) تعسة وبيوتها متداعية، كما ان الارض المحيطة بها لا تعدو ان تكون بلقعا خراب".

ولم تكن الصورة التي رسمتها غروتروود بل والمعروفة بمس بيل Gertrude Lowthian Bell عن الكوفة في العقد الاول من القرن العشرين بأحسن حالا مما اورده الرحالة الاوريون في نهاية القرن التاسع عشر، اذ تقول: "وهي الان (اي الكوفة) قرية صغيرة بائسة تتخذ شكلا "عنقوديا حول الجامع الكبير".

على ان ما ذكرته (بل) لم يكن منطقيا مع طبيعة التطورات التي مرت بها المدينة، كما ان لوريمر، الفنصل البريطاني الذي كتب كتابه المعروف "دليل الخليج" في العقد الاول من القرن العشرين، قد اشار الى الكوفة على انها "مدينة" وذلك بقوله "ولا يزيد عمر المدينة الجديدة عن عشرين عاما".

وتؤكد هذه الاشارة التطور الكبير الذي شهدته الكوفة، بحيث انها تحولت الى مدينة قائمة، هذا الحدث التي برز بصورة واضحة في ثمانينيات القرن التاسع عشر، واستمرت المدينة بالنمو والانتساع حتى اصبحت مدينة عامرة في الحرب العالمية الاولى.^{٢٦}

لم تحاول السلطات التي تشكلت عقب تأسيس ما عرف بالحكم الوطني في العام ١٩٢١ احياء الدور الذي قامت به الكوفة في العصور الاسلامية الاولى وقد يكون صحيحاً ان النجف الاشرف قد سلبت الكوفة بريقها بحكم تأسيس الحوزة العلمية منذ عصر الشيخ الطوسي ومن ثم تأسيس مدينة أضحت الكوفة تابعة لها إلا رمزية الكوفة بجد ذاتها كعامل اساس في تشكل الهوية العراقية اسلاميا وحادثيا لم يتم التركيز عليها سيما وان المشروع القومي العربي عمل على استيحاء مثل وقيم كان معظمها غير عراقي بل وحتى غير عربي وذلك لابعاد مذهبية ضيقة من اجل تهميش وتوهين الدور الذي قامت به الكوفة في الحفاظ على الهوية العربية والاسلامية للعراق. ويلاحظ المتتبع حقيقة اساسية الا وهي إن السلطات المتعاقبة في العراق تبتعد عن تمثل الهوية العراقية الذي تبتعد فيه عن تمثل التراث الروحي والفكري والذي مثلته الكوفة ولما كانت ازمة الحكم في الحكم تتمثل بعدم صياغة هوية عراقية

حقيقية قادرة على استيعاب الموروث الحضاري العراقي وجوانبه الاكثر ثراء من الناحية المعرفية فقد شكل الابتعاد عن الكوفة وهي أهم المعالم الفكرية التي شكلت الهوية العراقية اهم المميزات التي طبعت سيرة انظمة الحكم المتعاقبة فلا يذكر تاريخ الكوفة في المناهج الدراسية ولا يتم التركيز على العلماء والاعلام الذين انجبتهم الكوفة على مدار التاريخ ولا يتم طبع صورة لمسجد الكوفة الاعظم وهو اول مساجد العالم الاسلامي بعد الحرمين في أي طابع تذكاري اصدرته الدولة العراقية منذ العام ١٩٢١ وحتى الوقت الحاضر، ولم يتم طبع صور المسجد في العملات الورقية أو المعدنية التي سكنتها الدولة العراقية مقارنة بما فعلت مصر على سبيل المثال مع مسجد الفسطاط والذي لا يداني مسجد الكوفة في المنزلة والدور والتأثير، ولقد عمل صانع القرار العراقي على الاستعانة بمفكرين عرب لصياغة المشاريع الفكرية الخاصة بالنظام السياسي وكان من الطبيعي لمفكرين استمدوا مرجعياتهم من موروثات تركية او غربية أن يتعدوا تماماً على المعين الثر للعلم والمعرفة والذي انتجته مدرسة الكوفة، ويصح القول انه كلما كان هنالك اقتراب وتمثل من التراث الروحي والفكري للكوفة اضحى هنالك تمثل اكبر ومماهة اشد للهوية العراقية ذلك ان تاريخ الكوفة وعطائها كان وبعبصير مختلف تاريخ العراق وعطاء العراقيين.^{٢٧}

مشروع جامعة الكوفة :

لقد ادرك المعمارى الراحل محمد صالح مكية (١٩١٤-٢٠١٥) الدور الذي لعبته الكوفة ومدرستها ومسجدها الجامع في انشاء الهوية العراقية وابراز ملامحها الاساسية ولذلك سعى ومجموعة من المهتمين بالتاريخ والادب والتراث إلى احياء الدور الذي لعبته الكوفة قديماً رغم ان الرجل لم يكن من اصول كوفية أو نجفية وذلك ايماناً منه بان احياء الدور الذي لعبته الكوفة في مستهل تأسيسها في بلورة معالم مدرسة عراقية لم تكن قاصرة على الفقه والادب بل في مختلف العلوم يعني وفي أهم تجلياته احياء للهوية العراقية العقلانية والمتزنة والمنسجمة مع ميراثها القائم على الجدل والحجاج والتفكير وتفكيك النص، وكان من الطبيعي ان يصطدم مشروعه هذا مع مشروع السلطة القائم آنذاك فمن غير الممكن حينما تحاول صياغة مشروع فكري عراقي

خالص أن تقرنه بمبدأ الطاعة التامة والعمل على ضرورة الانسجام مع السلطة فهذا مما يتنافى مع طبيعة الشخصية العراقية والتي تقوم على النقص والرفض والجدل وهو من ابرز الصفات التي أعارتها الكوفة للعراقيين وإن حاولت السلطة ترويض هذه الطبيعة فذلك لم يتم إلا بطرق كان أيسرها العنف والاقصاء والاستبعاد.

عد مكية هو اول مخطط ومنفذ لمشروع جامعة الكوفة التي جاءت فكرته من شعوره بان كثافة السكان وضحالة مستوى التدريس والحاجة الى الاهتمام بالتراث كلها تستلزم وجود جامعة جديدة لها مستوى تأهيلي واكاديمي ، اما لماذا الكوفة بالذات فلانها ذات موقع حضاري وتاريخي متميز وتمثل لقاء الصحراء بالسواد وبحث مكية في اي مدينة عربية فلم يجد احسن من الكوفة ولقيت فكرته تشجيعا وترحيبا من قبل اكاديميين ورجال اعمال آزروه في مشروع تخطيط جامعة الكوفة كان من بينهم الدكتور كاظم شبر والدكتور فيصل الوائلي والدكتور حسين علي محفوظ والدكتور عناد غزوان والشيخ محمد حسن آل ياسين وغيرهم الذين انتخبوا محمد مكية رئيسا لهذا المشروع في اجتماع عقد لهم في ٦ حزيران ١٩٦٧.

ربما كان اخفاق حلم الكوفة والقاء بعض من اصحابه وشركائه في الحلم الكوفي في غياهب قصر النهاية واذلالهم على ايدي الاجهزة الامنية التابعة للنظام السابق دليل على الرغبة الجارحة لدى اجهزة النظام بتغييب اسس الهوية العراقية وذلك طبقا لمنطلقات مذهبية ضيقة، ولقد بين محمد مكية الاهداف التي سعى عن طريقها لتأسيس جامعة الكوفة: (لم نرد من جامعة الكوفة ان تنحصر في ساحة ضيقة بل اردنا ان تكون مدينة جامعية وكان مرسوما في التخطيط الاولي لها ان لا تحتوي على مطعم صغير لإطعام الطلبة مثلا بل ان يكون بدلا عنه سوق يدخل فيه الطالب وهي مصممة بشكل حديث ذو اروقة واقواس واعمدة ورؤيا تحمل سمات الصحراء وتمتد يدا الى الفضاء المطلق ولكن الدولة وضعت اليد برغم اننا اسسنا المكاتب الاستشارية واقمنا الامسيات الرمضانية وكانت الجامعة بالنسبة لي اقصى طموحاتي وكانت مباركة من قبل مراجع الدين ولا سيما المرجع الاعلى السيد محسن الحكيم وانا مدين لهم لانهم شجعوني ، وكان السبب المعلن لتأميم هذا المشروع من قبل حكومة البعث على انه

مشروع طائفي لمكون واحد و اتخذت من هذا السبب ذريعة لاستيلاء السلطة على المشروع وأنشأته هي ، وكان مع المخططات وماكيتات التصميم التي تركها مكية عن جامعة الكوفة عن ذروة خبرات متراكمة وموهبة اكتملت ادواتها ونضجت ينابيعها كما وظف الكثير من الانماط التشكيلية في تلك المخططات (برع الدكتور محمد مكية في تصميم عمارة جامعة الكوفة براعة ليس لها نظير في استعماله اسم الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله وسلامه عليه ولاسيما كلمة (علي) تصميمًا حروفيًا يشبه الخط الكوفي المربع الاشكال ، ووظف مكية الحرف توظيفًا راقيا من خلال التوزيع والكتل والمساحات بما يتلاءم مع الفضاء والمسطحات الكبيرة ونلاحظ التوزيعات البنائية داخل الحرم الجامعي الذي يتألف من كلمة (علي) اذ ربط مكية في تصميمه هذا بين الشكل والوظيفة ولاسيما من حيث الابعاد الروحية والتاريخية وتوظيف تقنيات الخط العربي وجمالياته.^{٢٨}

لقد سعى محمد مكية إلى إعادة الحضور الكوفي في الهوية العراقية وبقوة وكان مشروعه يرمي إلى بناء جامعة علمية رصينة تتجسد في اروقها شتى الفنون المتنوعة ، وهي من أهداف الدكتور محمد مكية مما أدى إلى تأسيس جمعية مؤسسة جامعة الكوفة عام ١٩٦٦ التي تضمنت العديد من المفكرين والأكاديميين العراقيين والمبدعين وفي مختلف الاختصاصات المعرفية، بيد أن سرعان ما تم إيقاف هذا المشروع الكبير بل إلغائه وذلك لأسباب مذهبية كما ذكرنا وهو ما آلم الكثير من المثقفين العراقيين ولاسيما رئيس هذه الجمعية الدكتور محمد مكية الذي ظل هذا الحلم يراوده حتى الراقى الأخير، فقد أسس في لندن ديوان الكوفة الذي يعد من المراكز الثقافية والعلمية العراقية الكبيرة في المهجر وقد استضاف العديد من المفكرين والمثقفين العراقيين كجواد سليم ولورنا سليم والدكتور علي جواد الطاهر وبلند الحيدري وفيصل لعبي ومير بصري وغيرهم. وكانت الجمعية منذ تأسيسها قد استضافت في بغداد كبار المفكرين العراقيين كشاعر العرب الكبير محمد مهدي الجواهري. لقد ظل حلمه إلى الآن في تأسيس جامعة الكوفة، فحين سأل أحد الصحفيين الدكتور محمد مكية، هل

ما زلت تطمح في قيام جامعة الكوفة؟ فأجابه الدكتور مكية : نعم أعيش تفاصيله في كل لحظة ولعل الأماني مجتمعة فيه ومنه تتفرع.

وحين عمل النظام السابق على الغاء المشروع وتشيت رواده تابع الراحل محمد مكية احياء اسم الكوفة كرمز جامع للهوية العراقية في المهجر فعمل على تأسيس ديوان ثقافي في عاصمة الاغتراب لندن يعرف باسم ديوان الكوفة وذلك لأصالته كمركز حضاري مهم، ولأهميتها بالنسبة لمكية حيث حظيت بمكانة تاريخية ربما تقارن بروما وأثينا في العالم الكلاسيكي القديم. والديوان مثل امتدادا لمشروع جامعة الكوفة الحضاري، الذي كان مكية وعلى الدوام يذكره بمعرض حديثه الدائم عن عراق ما قبل الثمانينيات ضمن مراجعاته لذكرياته المهنية.^{٢٩}

ولم يكتف النظام السابق بإلغاء مشروع جامعة الكوفة بل عاد بعد الانتفاضة التي اندلعت في اذار من العام ١٩٩١ الى الغاء تشكيلات جامعة الكوفة والتي تأسست في العام ١٩٨٧ ولم تكن بطبيعة الحال كمشروع وكمؤسسة تماثل ما ارادته جمعية جامعة الكوفة واتي وضع اسسها محمد مكية، ولكن الرغبة في طمس اهم معلم من معالم الهوية العراقية الجامعة واخفاء اسم الكوفة كمعلم عراقي وعربي واسلامي اصيل كانت متأصلة لدى النظام السابق والذي أدى سياساته القائمة على التمييز المذهبي إلى اضاءة كثير من الفرص التاريخية على العراقيين للولوج في عالم المعرفة والتطور والعلمي القائم على الانفتاح واعمال العقل والحوار الحر والجدل والذي مثلته مدرسة الكوفة منذ بداية تأسيسها وبقيت وفيه له على مدى قرون طوال.^{٣٠}

الخاتمة والاستنتاجات

من المعروف ان الحضارات العالمية الرئيسة انبثقت من مدن لعبت دورا كبيرا في صياغة المشاريع الحضارية الخاصة بكل حضارة وتركت هذه المدن وعلى مدار العصور معالم بارزة وصروحا فكرية وعمرانية خلدت هذه الحضارات وأبقت على مسميات هذه المدن بعدها المنشئة الاساسية للحضارة، فكانت بابل والوركاء واور واريديو، ومنفيس وطيبة والاسكندرية واثينا وروما، مدن عالمية ولما خرج العرب بعد الاسلام من الجزيرة متوجهين للعراق كانت الكوفة والبصرة اولى المدن التي شيدها وتم تمصيرها

وعلى الرغم من إن البصرة بنيت قبل الكوفة إلا إن هنالك جملة من المزايا التي توفرت لهذه المدينة جعلت منها مركزاً للعراق ودلالة مهمة من دلالات الهوية العراقية، ذلك ان الكوفة كانت أكثر تمثلاً للهوية العربية مقارنة بالبصرة ويبدو ان موقعها الجغرافي قد ساهم في منحها هذا البعد، واضيف لها تأسيس مسجدها الجامع فغالبا ما تحوي المدن ذات الهوية المتميزة موقعا يكون معلماً بارزاً لها فكان مسجد الكوفة أحد أهم هذه المعالم، ثم توفرت للكوفة ميزة اخرى لم تتوفر لأي مدينة عراقية وهي اختيارها من لدن الامام امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عاصمة لخلافته لأسباب تتعلق بالمزايا التي توفرت للكوفة والتي أدركها الامام امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ببعد نظره التاريخي، وعلى الرغم من إن اغلب سكان الكوفة كانوا من الفاتحين المنحدرين من الحجاز واليمن إلا ان الكوفة استطاعت بالميراث الحضاري الذي استمدته من البيئات الحضارية المجاورة لها كالحيرة وبانيقا وعاقولا وقبلها بابل التاريخية أن تستوعب الفاتحين وان تضفي مزايا اختصت بها وبقت معلماً من معالمها، وحين يكون لأي مدينة هوية خاصة بها فذلك يستلزم شروطاً منها أن تكون هذه المدينة مرتبطة بإرث حضاري سابق على وجودها المادي، ، وان تحقق تواصلاً مع ما استجد بعد وجودها وان تكون قادرة على استيعاب الاختلافات والمتناقضات الموجودة لدى سكانها وان تحوي معلماً حضارياً يشكل رمزا لهويتها وتتركز حول هذا الرمز مجمل النشاطات الذهنية والفكرية لأبناء المدينة، وان تضم ابطالاً وشخصيات يكونون بمثابة الدلائل البارزة على المدينة وما قدمته، وان تترك هذه المدينة جملة من النتاجات التي تختلف عن نتاجات المدن الاخرى ولقد حققت الكوفة هذه الشروط فكانت معبرة عن مدرسة متميزة في اللغة والفقه والخط واستوعبت المتغيرات التي تعاقبت عليها ولقد ضمت الكوفة عناصر الوحدة مع التنوع ، وطابع الحدل وتفكيك النص والجددة في الرأي والاصالة في اللغة وكانت مدرسة ابتداء لا اتباع أو اثر، وبالقدر الذي كانت السلطات المتعاقبة تعتمد إلى اهمالها أو التقليل من شأنها فقد كانت تمنح العراق سماته المميزة وبالقدر الذي اعطت فيه للشعر العربي ابي الطيب المتنبي في العصر العباسي اعطت فيه للشعر العربي الحديث محمد

مهدي الجواهري فكان الاول قد ملئ الدنيا وشغل الناس وكان الثاني آخر قامة من قامات الشعر العربي المعاصر واهمها، وبالقدر الذي كان هنالك ابتعاد عن تمثّل الهوية الكوفية كان هنالك نأي عن الهوية العراقية وتشويه لاهم معالمها الحضارية والتي برهنت على قدرتها على العطاء بتوالي الدهور والازمنة.

الهوامش:

- ١ . المنجد في اللغة والاعلام، بيروت، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، ص: ٨٧٥
- ٢ . Laurance Urdang, The Random House Dictionary of English Language, Allied Publishers, priute Limited, India, ١٩٧٧, p: ٦٥٩
- ٣ . Idiomatic and Syntactic English Dictionary, Macmillan Company, London, ١٩٥٧, pp: ٦١٨-٦١٩
- ٤ . جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الجزء (٢) ن ١٩٧٩، ص: ٥٢٩
- ٥ . تفاصيل اكثر عن المفهوم الفلسفي للهوية، ينظر: حسن حنفي، الهوية، القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠١٢، ص: ١٧-١٩
- ٦ . جميل صليبا، نفس المصدر السابق؛ ص: ٥٢٩
- ٧ . حول هذا الموضوع انظر: حمزة رستاوي، في نقد الهوية الجوهرائية عند ارسطو والعقل الثابت، الأوان، الاحد، ٢٤-ايار، مايو، ٢٠١٤.
- ٨ . Encyclopedia Americana, American Corporation, International Headquarter, Danbury, Conneticut, USA, P: ٧٤٣
- ٩ . David Sills (Editor)), International Encyclopedia of Social Science, Volume, ٧, the Macmillan Co, New York, ١٩٧٢, p: ٦١
- ١٠ . جميل صليبا، مصدر سبق ذكره، ص: ٥٣١
- ١١ . حول الطروحات الفلسفية الخاصة المتعلقة بالهوية عند ديفيد هيوم وعمانوئل كانت، انظر: Encyclopedia of Americana, Volume (١٤), op. cit, pp: ٥٥٧-٥٩٩
- وانظر ايضا: Encyclopedia of Americana, Volume ((١٦)), pp: ٣٠٤-٣٠٦
- ١٢ . جميل صليبا، مصدر سبق ذكره؛ ص: ٥٣١
- ١٣ . علاء عبد الرزاق، أزمة الهوية في الفكر العربي المعاصر، بين الاصلية والمعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠١، ص: ٢٠
- ١٤ .. صلاح قنصوة، الغزو الثقافي وحوار الحضارات، المنار، س(٣)، ع(٣١) ن الاول من تموز، ١٩٨٧، ص: ١٣١

- ١٥ . اليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة: د. علي وطفة، دمشق، دار الوسيم، ١٩٩٣، ص: ١٢٣
- ١٦ . نديم البيطار، حدود الهوية القومية، نقد عام، بيروت، دار الوحدة، ١٩٨٢، ص: ٢٢
- ١٧ . المعجم الوسيط، ص: ٨٠٥
- ١٨ . علاء عبد الرزاق، أزمة الهوية والاندماج في المجتمع العراقي، منشور في اعمال المؤتمر السنوي لكلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٤.
- ١٩ . علاء عبد الرزاق، هوية مدينة دراسة لمدينتين مقدستين، المدينة المنورة والكوفة المقدسة، عمان، دار امجد، ٢٠١٨. ينظر ايضا احمد حسون الوائلي، الكوفة ونسيجها الحضاري، محاضرة القيت في مسجد الرسول الاعظم، الكويت، ١٩٩٩.
- ٢٠ . محمد علي الحلو، انصار الحسين الثورة والثوار، كربلاء المقدسة، شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١٤، ص: ١٦-١٧
- ٢١ . سامي البدري، اهل الكوفة بين حقد الامويين والعباسيين وثناء اهل البيت عليهم السلام والواقع التاريخي، الطبعة الثانية، النجف الاشرف، المكتبة الحسينية الميسرة، ٢٠١١، ص: ١٠-١١، وينظر ايضا: محمد علي، ال خليفة، أمراء الكوفة وحكامها، مؤسسة الصادق عليه السلام للطباعة والنشر، د م، ٢٠٠٤م/ ١٤٢٥ هـ.
- ٢٢ . علاء عبد الرزاق، المقاومة السياسية لائمة اهل البيت من الصادق حتى الهادي، عمان، دار امجد، ٢٠١٧، ص: ٣٤
- ٢٣ . سامي البدري، مصدر سبق ذكره؛ ص: ٢٠
- ٢٤ . ابي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، الطبعة السادسة، بيروت، دار القلم، ١٩٨٦. وينظر ايضا: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله بن الحموي، معجم البلدان، إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩.
- ٢٥ . للتفصيل ينظر، السيد حسين البراق، تاريخ الكوفة، دار الأضواء، بيروت، ١٩٧٨، ص: ١٤٢-٢٠٠، وينظر ايضا: كامل سلمان الجبوري، تاريخ الكوفة الحديث من عام ١٨٦٠-١٩٧٣، النجف الاشرف، مطبعة الغري الحديثة، ١٩٧٤
- ٢٦ . طارق نافع الحمداني، الكوفة في نهايات العهد العثماني، ملاحق جريدة المدى، ٢٤-كانون الثاني، ٢٠١٦
- ٢٧ . علاء عبد الرزاق، شيعة العراق .. إرث الماضي وتحديات الحاضر، عمان، دار امجد للنشر والتوزيع، ٢٠١٨.
- ٢٨ . توفيق التميمي ، محمد مكية رائد العمارة البغدادية قصة كفاح وحكاية تنوير، جريدة التأخي

الخميس، الثالث من ايلول، ٢٠١٠. ص:٦

٢٩. محمد مكية، سيرة معماري ويوميات محلة بغدادية، بيروت، دار الساقى، ٢٠٠٥، ص: ١٤٢-١٥٦

وينظر : رفعت الجادرجي، محمد مكية وتطور الحداثة في العراق، المدى الثقافي،

العدد(١٣٤٥)، السنة(السادسة)،الخميس ١٦ تشرين الاول، ٢٠٠٨، ص:١٦

٣٠. علاء عبد الرزاق، شيعة العراق، ارث الماضي وتحديات الحاضر، مصدر سبق ذكره، ص:٩٢